﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ هُدًى ﴾ . أي : نورٌ وهدايةٌ من الضلال للمتقين ؛ لا لغيرهم .

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله : (قوله تعالى : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ صرَّح في هذه الآية بأن هذا القرآن هدى للمتقين ، ويفهم من مفهوم الآية ـ أعني مفهوم المخالفة المعروف بدليل الخطاب ـ أن غير المتَّقين ليس هذا القرآن هدى لهم ، وصرَّح بهذا المفهوم في آيات أخر كقوله : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ ﴾[1] .

وقوله : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[2] .

وقوله : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾[3] .

---

(١) فصلت : ٤٤ .

(٢) الإسراء : ٨٢ .

(٣) التوبة : ١٢٤ ـ ١٢٥ .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾[1] .

ومعلوم أن المراد بالهُدى في هذه الآية : الهدى الخاص الذي هو التفضل بالتوفيق إلى دين الحق ، لا الهدى العام ، الذي هو إيضاح الحق)[2] .

وقال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله : (والهدى في هذا الموضع مصدرٌ من قولك : هديتُ فلاناً الطريق ـ إذا أرشدتَه إليه ، ودللتَه عليه ، وبيَّنْته له ـ أهديه هُدىً وهداية . فإن قال لنا قائل : أوَ ما كتاب الله نوراً إلا للمتَّقين ، ولا رشاداً إلا للمؤمنين ؟ قيل : ذلك كما وصفه الله ربنا ﷻ ، ولو كان نوراً لغير المتقين ، ورشاداً لغير المؤمنين ، لم يخصِّص الله ﷻ المتَّقين بأنه لهم هدىً ، بل كان يَعُمُّ به جميعَ المنذَرين ، ولكنه هدىً للمتقين ، وشفاءٌ لما في صدور المؤمنين ، ووَقْرٌ في آذان المكذِّبين ، وعمىً لأبصارِ الجاحدين ، وحجةٌ لله بالغةٌ على الكافرين ، فالمؤمن به مُهْتدٍ ، والكافرُ به محجوجٌ)[3] .

---

(١) المائدة : ٦٨ .

(٢) أضواء البيان (١/ ٤٥) ط . عالم الكتب .

(٣) تفسير الطبري (١/ ٢٣٤) ط . دار هجر .

obeikandl.com

أنواع الهداية :

وأنواع الهداية المذكورة في كتاب الله تعالى أربعة ؛ وهي :

١ - الهداية العامة المشتركة بين جميع المخلوقات ، قال تعالى : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾[١] . وقوله سبحانه : ﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[٢] .

٢ - هداية دلالة وإرشاد : وهذه عامة لجميع البشر مؤمنهم وكافرهم ؛ فقد أرشد اللهُ عباده كلهم للطريق المستقيم ، ودلَّهم عليه وأمرهم بسلوكه ؛ ونهاهم عن ضدِّ ذلك .

وكذلك فإنها تكون من الله ، ومن العباد بأن يُرشد بعضهم بعضاً إلى الصواب والطاعة ، وهي المرادة بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٣] ، وقوله سبحانه : ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾[٤] ، أي : بيَّنا له الطريقين الواضحين : طريق الخير وطريق الشر .

---

(١) الأعلى : ١ ـ ٣ .

(٢) طه : ٥٠ .

(٣) الشورى : ٥٢ .

(٤) البلد : ١٠ .

وهذه الهداية أوجبها الله سبحانه على نفسه رحمة بعبادة ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴾ (١) .

وبهذه الهداية يظهر اختيار العاقل المكلَّف ؛ فإما أن يختار ويستحبَّ الإيمان ، وإما أن يختار ويستحبَّ العمى على الهدى . قال سبحانه : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾(٢) ، أي : بيَّنَّا لهم وأرشدناهم ودَلَلناهم .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (٣) .

٣- هداية توفيق وإلهام : ولا تكون إلا من الله وحده ، ولأهل تقواه وطاعته ورضاه ، فهي خاصَّةٌ لا عامة ؛ وهي التي نطلبها منه سبحانه كل يوم مرات ومرات في قولنا : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ أي : وفقنا للهداية وثبِّتنا عليها ، وهي المرادة بقوله سبحانه : ﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ (٤) . وقوله : ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴾(٥) . وقوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾(٦) . وقوله ﷻ : ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ

---

(١) الليل : ١٢ .

(٢) فصلت : ١٧ .

(٣) الإنسان : ٣ .

(٤) البقرة : ٢٧٢ .

(٥) الزمر : ٣٧ .

(٦) القصص : ٥٦ .

عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾[1] .

وقوله ﷻ : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾[2] .

نسأل الله أن يجعلنا من أهلِ هدايته ، وأن يخصنا بالمزيد من توفيقه ورعايته . آمين .

٤ – **الهداية إلى الجنة** : وهي غاية الهداية ومنتهاها ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[3] .

وقوله سبحانه : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[4] .

---

(١) الكهف : ١٧ .

(٢) الرعد : ٣٣ .

(٣) يونس : ٩ .

(٤) الأعراف : ٤٣ .

التقوى في اللغة والشرع

وقوله : ﴿ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ، **التقوى لغةً** : من الإتِّقاء ، وأصله من الحاجز بين الشيئين ، ومنه يقال اتقىَّ بترُسه أي : جعله حاجزاً بينه وبين عدِّوه .

والتقوى شرعاً : أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية باتِّباع أوامره واجتناب نواهيه ، والتقوى محلها القلب لما جاء في الصحيح أن النبي ﷺ قال : (**التقوى ها هنا**) ويشير إلى صدره ثلاث مرات . . .) [1] ؛ وتظهر آثارها باستقامة الجوارح على طاعة الله تعالى .

وقد سُئل علي بن أبي طالب ﷺ عن معناها فقال : (الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والرضا بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل) .

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ في قوله تعالى : ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾[2] قال : (أن يُطاع فلا يُعصى ، ويذكر فلا يُنسى ، ويُشكر فلا يكفر) .

وسأل عمرُ بنُ الخطاب ﷺ أُبيَّ بنَ كعب ﷺ عن التقوى ؟ فقال له أُبي ﷺ : (أما سلكت طريقاً ذا شوك ؟) فقال : بلى . قال : (فما عملت؟) قال : شمَّرت واجتهدت [3] . قال : (**فذلك التقوى**) [4] .

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤) كتاب البر والصلة ، من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً .

(٢) آل عمران : ١٠٢ .

(٣) أي : شمَّرتُ ثيابي ، واجتهدتُ أن لا يُصيبَ الشوك قدمي وبدني .

(٤) أي : أن تشمر في طاعة الله ، وتجتهد أن لا تقع في معصية الله .

وقد أخذ هذا المعنى ابن المعتز فقال :

خَلِّ الذنوبَ صغيرَها ... وكبيرَها ذاك التُّقى

واصْنَع كَماشٍ فوقَ أر ... ضِ الشَّوكِ يحذرُ ما يَرى

لا تحقرنَّ صغيرةً ... إنَّ الجبالَ مِن الحصى

فلذلك المتقي مثله كمثل الذي يسير على الشوك ، الهمُّ في قلبه والاضطراب في نفسه ، والقلق والخوف من أن يقع في معصية الله تبارك وتعالى .

فالمتقي لله ﷻ لا يأخذ هذه الدنيا هكذا بطمأنينة وراحة وفرح ، وهو يعرف أنه في دار اختبار وابتلاء ، بل هو متقٍ خائف من الوقوع في الذنوب والمعاصي يسأل عن كل أمر ؛ إذا جاءه المال من أين هذا المال ؟ كيف جاء هذا المال ؟ كما كان حال أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان لأبي بكر غلامٌ يُخرِجُ له الخَراجَ ، وكان أبو بكرٍ يأكُلُ من خَراجِهِ ، فجاءَ يوماً بشيءٍ ، فأَكَلَ منه أبو بكرٍ فقال له الغلامُ : أتدري ما هذا ؟ فقال أبو بكرٍ : وما هو ؟ قال : كنتُ تَكَهَّنتُ لإنسان في الجاهليةِ ، وما أُحسِنُ الكِهانَةَ ، إلا أَنِّي خَدَعْتُهُ ، فَلقِيَني فأعطاني بذلك ، فهذا الذي أكلت منه ، فأدْخَلَ أبو بكرٍ يَدَه ، فقاء كلَّ شيءٍ في بطنه) (١) .

---

(١) رواه البخاري (٣٨٤٢) .

obeikandi.com

هذه هي التقوى ، أن يكون المسلم حريصاً شديد التنبه ، شديد الحساسية ؛ يسأل عن كل أمر من الأمور ؛ هل حرام أم حلال ؟؛ ويهتم بجانب المال ؛ من أين جاء ؟ وكيف جاء ؟ حتى يقي نفسه سوء العذاب يوم القيامة .

وفي سنن ابن ماجَهْ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قيل لرسول الله ﷺ : أي الناس أفضل ؟ قال : (كل مخموم القلب ، صدوق اللسان) قالوا : صدوق اللسان نعرفه ، فما مخموم القلب ؟ قال : (هو التقيُّ النقيُّ ، لا إثمَ فيه ولا بغيَ ولا غلَّ ولا حَسَد) [1] . وقد ذكر الله بعض أوصاف أهل التقوى في قوله : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [2] .

وللتقوى مراتب :

المرتبة الأولى : اتِّقاء الخلود في النار باعتقاد كلمة التوحيد بالقلب ، والإقرار بها باللسان ، وهي كلمة التقوى ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ ﴾ [3] .

---

(١) سنن ابن ماجه (٤٢١٦) ، وقال البوصيري في (مصباح الزجاجة) (٣/ ٢٩٩) رقم (١٥٠٤) : هذا إسناد صحيح رواه البيهقي في سننه من هذا الوجه . أ .هـ .

(٢) البقرة : ١٧٧ .

(٣) الفتح : ٢٦ .

المرتبة الثانية : اتقاء غضب الجبار بفعل الفرائض واجتناب المحرمات ، وأهم ما في هذه المرتبه : أداء حقوق الناس وكفُّ الأذى عنهم ، وحفظ حرماتهم .

المرتبة الثالثة : اتِّقاء الشبهات بالورع والمسابقة إلى الخيرات ، كما في حديث النُّعمان بن بشير ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال : (الحلال بيِّنٌ والحرام بيِّنٌ ، وبينهما مُشبَّهات ، لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتَّقى المُشبَّهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومَنْ وقع في الشُبُهات كراعٍ يرعى حول الحِمى يُوشِكُ أن يواقعه ، ألا وإنَّ لكل مَلِكٍ حمى ألا وإنَّ حمى الله في أرضه محارمه ، ألا وإنَّ في الجسدِ مُضغةً إذا صَلَحت صلَحَ الجسدُ كله ، وإذا فَسدَت فسدَ الجسد كله ، ألا وهي القلب) [1] . وفي رواية : (ومن اجترأ على ما يشكُّ فيه من الإثم ، أوشك أن يُواقِعَ ما استبان ، والمعاصي حمى الله ، ومن يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه) [2] .

وفي رواية : (ومن يخالط الريبة يوشك أن يَجسُرَ) [3] . أي : يقرُب أن يقع في الحرامِ المحض .

---

(١) رواه البخاري (٥٢) ، ومسلم (١٥٩٩) .

(٢) رواه البخاري (٢٠٥١) .

(٣) رواها أبو داود (٣٣٢٩) في البيوع ، والنسائي (٥٧١٠) في الأشربة ، وابن حبان (٧٢١) في الرقائق .

المرتبة الرابعة : اتِّقاء مالا بأس به حذراً مما به بأس ؛ ففي حديث عبد الله ابن يزيد ﷺ عن النبيِّ ﷺ أنه قال : (لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذراً مما به بأس) [1] .

وقال الحسن البصري : (ما زالت التقوى بالمتَّقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام) .

وأعظم زاد هو زاد التقوى ؛ قال تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [2] .

وأمرنا بالتعاون عليها ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [3] .

وأمرنا بالتناجي بها ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [4] .

والله تعالى هو أهلها ؛ كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ [5] .

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٥١) ، وابن ماجه (٤٢١٥) ، وقال الترمذي : حديث حسن غريب .

(٢) البقرة : ١٩٧ .

(٣) المائدة : ٢ .

(٤) المجادلة : ٩ .

(٥) المدثر : ٥٦ .

ولباسها خير لباس ؛ قال تعالى : ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ﴾ [1] .

والعاقبة لها ولأهلها ؛ قال سبحانه وتعالى : ﴿ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾ [2] . وقال جل وعلا : ﴿ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [3] .

وهي وصية الله للأوَّلين والآخرين ؛ قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ ﴾ [4] .

وهي أساسُ قبول أعمال العباد ، وما يرفع إلى الله سبحانه منها ؛ قال تعالى : ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ ﴾ [5] .

---

(١) الأعراف : ٢٦ .

(٢) طه : ١٣٢ .

(٣) هود : ٤٩ .

(٤) النساء : ١٣١ .

(٥) الحج : ٣٧ .

openkandl.com

بعض ثمرات التقوى :

تحدثت في السطور السابقة عن تعريف التقوى لغة وشرعاً، ووضحت مراتبها وبعض الأمور التي تتعلق بها ؛ وأتحدث الآن عن جزاء من اتصف بالتقوى ، وبعض الثمرات والفوائد التي يجنيها من تخلق بها ، وعمل بها ، وسار عليها ؛ حتى تتشوق نفوسنا لتلك المرتبة ، وتزداد حرصاً على تنفيذها وتطبيقها .

أما جزاءات التقوى وثمراتها فهي كثيرة وعظيمة ، ومبثوثة في كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ ، وإننا نذكر طرفاً منها فقط ـ إيثاراً للاختصار ـ حتى نعرف قدرها العظيم ، فنأخذ أنفسنا بالجادة في سلوك طريقها ، والاتصاف بها .

وأول جزاء ، بل وأعظم جزاءٍ يناله المتقي لربه ﷻ ، هو محبة الله ﷻ لهذا المتقي ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[1] .

ولو كان هذا الجزاء هو الوحيد لمن اتقى الله ﷻ لكان أعظم جزاء ، وأكبر جزاء ، وأكرم جزاء ، أن يحبك الله تبارك وتعالى .

وقال عز من قائل : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[2] وكررها الله تبارك وتعالى في آياتٍ أخرى في كتابه سبحانه وتعالى .

---

(١) التوبة : ٤ .

(٢) آل عمران : ٧٦ .

والمحبة مقامها كبير وكريم ، ففي الحديث القدسي الذي رواه الإمام البخاري ، والذي يقول فيه رب العزة جل وعلا : (. . . وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبّ إليَّ مما افترضتُ عليه ، ولا يزالُ عبدي يتقرب إليَّ بالنوافلِ حتى أُحِبَّهُ ، فإذا أحببتُهُ كنتُ سمعه الذي يسمعُ به ، وبصَرهُ الذي يُبصر به ، ويده التي يبطشُ بها ، ورِجْلَهُ التي يمشي بها ، ولئِن سألني لأُعطِيَنَّه ، ولئِن استعاذني لأُعِيذَنَّه)[1] .

وعند الترمذي من حديث أبي الدرداء ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (كان من دعاء داود يقول : اللهم إني أسألك حبك ، وحب مَن يُحِبُّك ، وحب العمل الذي يبلغني حبك ، اللهم اجعل حبك أَحبَّ إليَّ من نفسي وأهلي ومن الماء البارد) ، قال : وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر داود يُحدِّث عنه قال : (كان أعبد البشر)[2] .

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : (إذا أحب الله العبد نادى جبريل : إن الله يحب فلاناً فأحْبِبْهُ ، فَيُحِبُّهُ جبريل ، فينادي جبريلُ في أهل السماء : إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيُحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض ، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول : إني أُبغض فلاناً فأبغضه . قال : فيبغِضُهُ جبريل . ثم ينادي في أهلِ السماء : إن الله يُبغض فلاناً فأبغضوه . قال :

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً .

(٢) رواه الترمذي (٣٧٢٠) كتاب الدعوات ؛ وقال : حديث حسن غريب .

فيبغضونه . ثم توضَعُ له البغضاءُ في الأرض)[1] .

هذا المكسب العظيم من التقوى هو أعظم المكاسب ، وأكرمها ، وأَجلُّها ، وكل ما يتمناه المسلم العاقل هو محبة الله تبارك وتعالى ؛ وأعظم بها من محبة .

ثم بعد ذلك من جزاءات التقوى أيضاً : إزالة الهم وجلب الرزق ، يعني لا تكتفي التقوى بأن تزيل همك وفقرك وكربك ، بل وتعطيك جائزةً على ذلك ، بل وتعطيك نفحةً من نفحات الله ، بل وتعطيك فرجاً ورزقاً وخيراً .

لا يكفي أنها تكفر الذنوب ؛ بل وتضاعف الأجور ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ هل اكتفى بأن أخرجه من مخرجه ذلك ، ومن همِّه ذلك ، لا ، ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ ، ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ ييسر له أمره ، ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ سبب نزول هذه الآية أن عوف بن مالك الأشجعي ﷺ جاء إلى النبي ﷺ وقال : يا رسول الله إن ابني أسره العدو ، وجزعت أمه ، فما تأمرني ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : (اتق الله واصبر ، وآمرك وإياها أن تستكثرا من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله) فعاد إلى بيته ، وقال لامرأته : إن رسول الله ﷺ أمرني وإياك أن نستكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله . فقالت : نِعْمَ ما أمرنا به ؛ فجعلا يقولان ؛ فغفل العدو عن ابنه ، فساق غنمهم ، وجاء بها إلى أبيه ؛ وهي أربعة آلاف شاة ؛ فنزلت الآية ، وجعل النبي ﷺ تلك الأغنام له .

---

(١) رواه البخاري (٣٢٠٩) ، ومسلم (٢٦٣٧) واللفظ له ، وأحمد في المسند (٨٥٠٠) .

وفي رواية : أنه جاء وقد أصاب إبلاً من العدوّ وكان فقيراً؛ قال الكلبي : أصاب خمسين بعيراً .

وفي رواية : فأفلت ابنه من الأسر وركب ناقة للقوم ، ومرّ في طريقه بسَرْح لهم فاستاقه . وقال مقاتل : أصاب غنماً ومتاعاً ، فسأل النبيَّ ﷺ : أيحلُّ لي أن آكل مما أتى به ابني ؟ قال : (نعم) ، ونزلت : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[1] .

والتقوى ترفع صاحبها فتجعله من أهل الكرامة عند الله ﷻ ، فبقدر تقواه بقدر ما يكون كريماً عند الله ﷻ ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[2] ، أرأيتم مكانة التقوى عند الله تبارك وتعالى ، وجزاءها ، وأعظم به من جزاء .

وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً : (إنَّ الله يقول يوم القيامة : أمرتكم فضيعتم ما عَهِدتُ إليكم فيه ، ورفعتم أنسابكم ، فاليوم أرفع نسبي ، وأضعُ أنسابكم ، أين المتقون ، أين المتقون ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾)[3] .

---

(١) (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي (١٨ / ١٠٦) في تفسير سورة الطلاق .

(٢) الحجرات : ١٣ .

(٣) رواه الحاكم ، والبيهقي في (شعب الإيمان) ، وضعفه الألباني في (ضعيف الجامع) برقم : (١٧٥٤) .

هذا هو نسب الله تبارك وتعالى ؛ التقوى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ ؛ لا بالأجناس ، ولا بالألوان ، ولا بالأطوال ، ولا بالأجسام ، ولا بالجمال ، ولا بالمال ، ولا بالحسب ، وإنما بالتقوى ، والتقوى محلها القلب ، وهي الخوف من الله تبارك وتعالى .

ومن جزاءات التقوى : أن المتقين هم أولياء الله تبارك وتعالى ، أنك إذا اتقيت الله ﷻ أصبحت ولياً لله .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ لا خوف عليهم في الدنيا ولا هم يحزنون في الآخرة ، ومن هم يارب ؟ ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾[1] .

وقال ﷻ : ﴿ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾[2] إذا اتقيت الله ﷻ فأنت الرابح ، وأنت الفائز في الدنيا وفي الآخرة .

ومن جزاء المتقين أنهم فائزون بمعية الله تبارك وتعالى ، أنَّ من اتقى الله كان الله معه ، معه بهدايته وبتوفيقه وبنصرته ، ومن كان الله معه فمن ذا الذي يغلبه ؟! ، ومن الذي يقهره ؟! لا أحد ، لأن الله معه سبحانه وتعالى ، كما كان مع نبيه موسى عندما ضرب البحر ، ومع نبيه محمد ﷺ في الغار ؛ عندما قال للصدِّيق : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾[3] .

---

(١) يونس : ٦٢ ـ ٦٣ .

(٢) الجاثية : ١٩ .

(٣) التوبة : ٤٠ .

قال تبارك وتعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[1] ، وقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[2] .

إذا اتقيت الله تبارك وتعالى كان الله ﷻ معك ، وإذا كان الله ﷻ معك نصرك ، وأَخرجك من همك ومن غمك ، ورزقك رزقاً مباركاً .

والمتقون هم المقبولة أعمالهم عند الله تبارك وتعالى ؛ فمن جزاءات التقوى أن أعمال المتقين مقبولة عند الله ﷻ .

قال الله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[3] .

والتقوى تجعل لصاحبها فرقاناً بين الحق والباطل ، وبين الخير والشر ، يعني تجعل له بصيرة ؛ لا بصر بعينه وإنما بصيرة بقلبه ، يُفرِّق بها بين الخطأ والصواب ، وبين الخير والشر ، وبين الحق والباطل .

أما الذي أعمى الله بصيرته ، فهو لا يدري العمل الذي يعمله ، أهو خير أم شر ؟ والعياذ بالله ﷻ ؛ وهذا حال كثير من الغافلين والعياذ بالله ﷻ .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾[4] .

---

(١) البقرة : ١٩٤ .

(٢) النحل : ١٢٨ .

(٣) المائدة : ٢٧ .

(٤) الأنفال : ٢٩ .

ومن جزاءات التقوى أنها تصلح أعمال الإنسان الدنيوية والأخروية ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[1] .

ومن جزاءات التقوى أن الخاتمة لها ، وأن العاقبة لها ، وأن النهاية لها ، حتى ولو رأيت المتقين على ضعفٍ ، وعلى هزيمةٍ ، وعلى خوفٍ ، فإن النهاية لهم ، وإن العاقبةَ لهم ، وإن الخاتمة لهم ، ليس المهم أن ينتصر الإنسان في أول الأمر ، ولا في وسطه ، ولكن المهم أن يكون منتصراً في آخره ، فالمتقي لله ﷻ هو المنتصر ، وهو الفائز في نهاية المطاف .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2] .

وقال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[3] .

والجزاء المقابل للتقوى في الآخرة هو الجنة ، قال تبارك وتعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[5] .

---

(١) الأحزاب : ٧٠ ـ ٧١ .

(٢) القصص : ٨٣ .

(٣) هود : ٤٩ .

(٤) آل عمران : ١٣٣ .

(٥) القمر : ٥٤ ـ ٥٥ .

وقال : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾[1] .

وقال : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴾[2] .

وقال : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾[3] .

وقال : ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾[4] .

فهل بعد هذه الجزاءات والعطاءات العظيمة من محبة الله ، ومن تفريج للكربات ، ومن نصر ، ومن رزقٍ ، ومن خيرٍ ، ومن معيّةٍ لله ، ومن ولايةٍ لله ، ومن فوزٍ وحسن عاقبة ، ومن جنةٍ عرضها السماوات والأرض . . . إلخ ؛ هل بعد ذلك يُقَصِّر مُقَصِّرٌ عن أن يلحق بركب المتقين ؛ فهل يوجد عاقل يسمع بكل هذه الآيات ، وهذه الأحاديث فلا يأخذ على نفسه بأن يكون معهم ، وأن يكون على طريقهم وأخلاقهم ؛ حتى ينجيه الله تبارك وتعالى معهم .

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا جميعاً من المتقين .

---

(١) الحجر : ٤٥ .

(٢) الطور : ١٧ .

(٣) النبأ : ٣١ ـ ٣٤ .

(٤) ق : ٣١ ـ ٣٥ .

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾

الإيمانُ في اللغة والشرع

الإيمان في اللغة : التصديق ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ [1] .

قال ابن جرير الطبري رحمه الله : (ومعنى الإيمان عند العرب : التصديق ، فيُدعى المُصدِّقُ بالشيء قولاً مؤمناً به ، ويُدعى المصدِّق قوله بفعله مؤمناً ، ومن ذلك قول الله جل ثناؤه : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ يعني : وما أنت بمصدِّقٍ لنا في قولنا . وقد تَدخُل الخشيةُ لله في معنى الإيمان الذي هو تصديق القول بالعمل) [2] .

وقال ابن كثير رحمه الله : (أما الإيمان في اللغة : فيطلق على التصديق المحض ، وقد يستعمل في القرآن والمراد به ذلك ، كما قال الله تعالى : ﴿ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [3] ، وكما قال إخوة يوسف لأبيهم : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ

---

(١) يوسف : ١٧ .

(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٤١) .

(٣) التوبة : ٦١ .

obeikandl.com

﴿ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ ، وكذلك إذا استعمل مقروناً مع الأعمال ؛ كقوله : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾) [1] .

والإيمان في الشرع : تصديق بالجَنَان ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان .

فمن أخلَّ بالتصديق فهو منافق ، ومن أخل بالإقرار فهو كافر ، ومن أخلَّ بالعمل فهو فاسق .

وقال ابن جرير الطبري رحمه الله : (والإيمان كلمةٌ جامعة للإقرار بالله وكتبه ورسله ، وتصديق الإقرار بالفعل . فإذ كان ذلك كذلك ، **فالذي هو أولى بتأويل الآية وأشبهُ بصفة القوم** أن يكونوا موصوفين بالتصديق بالغيب قولاً واعتقاداً وعملاً) [2] .

وقال ابن كثير رحمه الله : (**فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقاداً وقولاً وعملاً** . هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة ، بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عبيد وغير واحد إجماعاً : أن الإيمان قولٌ وعملٌ ، يزيدُ وينقص) [3] .

والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وأهله فيه متفاوتون ؛ فأفضلهم أولو العزم من الرسل ، وأدناهم المُخلِّطون من أهل التوحيد ، وبين هؤلاء وأولئك درجاتٌ ورتب لا يعلم حصرها إلا علام الغيوب .

---

(١) سور العصر : ٣ ، " تفسير ابن كثير " (١/ ١٨٣) ط . ابن حزم .

(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٤١) .

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ١٨٣) ط . ابن حزم .

وأركان الإيمان ستة وهي : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره . كما ورد ذلك في حديث جبريل عليه السلام .

والمؤمن مطالبٌ بالإيمان ـ بمعنى زيادته والثبات عليه ـ كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (١) .

وقال أيضاً : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ (٢) . وقال سبحانه أيضاً : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ . . . ﴾ (٣) .

الإيمان بالغيب

وقوله : ﴿ . . بِٱلْغَيْبِ ﴾ : **الغيب** هو كل شيء مُسْتَتِرٌ عنك ، لا يمكنك رؤيته والاطلاع عليه .

وقوله تعالى : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ أي : (يصدِّقون بما غاب عن الحسِّ والعقل غيبة كاملة ، بحيث لا يُدرك بواحد منهما ابتداءً بطريق البداهة ، وهو

---

(١) الأنفال : ٢ .

(٢) الحجرات : ١٥ .

(٣) النساء : ١٣٦ .

قسمان : قسم لا دليل عليه ، وهو المراد من قوله تعالى : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ . . . ﴾[1] . ومنه القَدَر الذي استأثر الله بعلمه ، وقسم قامت عليه البراهين : كالصانع وصفاته تبارك وتعالى ، وكالنبوَّات وما يتعلَّق بها من الأحكام والشرائع ، واليوم الآخر وأحواله من البعث والنشر ، والحساب والجزاء وهو المراد ههُنا)[2] .

وقال أبو العالية ، وقتادة بن دعامة في قوله تعالى : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ قالا : يؤمنون بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وجنته وناره ولقائه ، ويؤمنون بالحياة بعد الموت ، وبالبعث ، فهذا غيبٌ كله .

وعن ابن عباس ، وابن مسعود ، وناس من أصحاب النبي ﷺ ، ورضوان الله عليهم جميعاً أنهم قالوا : الغيب ما غاب عن العباد من أمر بالجنة وأمر بالنار ، وما ذُكر في القرآن .

وقال زيد بن أسلم : ﴿ بِٱلْغَيْبِ ﴾ : بالقَدَر .

وقال عطاء بن أبي رباح : من آمن بالله فقد آمن بالغيب .

---

(١) الأنعام : ٥٩ .

(٢) نور الإيمان في تفسير القرآن (الفاتحة والبقرة) ، لمحمد مصطفى أبي العلا . ص (٤٣ ، ٤٤) ط . دار البشائر الإسلامية .

وقال الحافظ بن كثير رحمه الله في هذه الأقوال وما شابهها : (فكل هذه مُتقاربة في معنىً واحد ؛ لأن جميع هذه المذكورات من الغيب الذي يجب الإيمان به) [1] .

فكل ما ذكر من أقوال سابقة وغيرها مما يخفى علينا بوجهٍ من الوجوه ؛ فهو غيب ، وهو مرادٌ من هذه الآية ؛ كل هذه الأشياء : القرآن ، والوحي ، والله ﷻ ، والإيمان الجنة والنار ، وبالرسول ﷺ ؛ كلها داخلة في الإيمان بالغيب .

ويؤكد ذلك حديث النبي ﷺ لما جاءه جبريل عليه السلام فسأله عن الإسلام ؛ ثم سأله عن الإيمان ، ثم سأله عن الإحسان ؛ والإحسان مرتبة أعلى من الإيمان ، والإيمان مرتبة أعلى من الإسلام ؛ نسأل الله ﷻ أن يبلغنا هذه المراتب العاليات بفضله وكرمه ، إنه على كل شيءٍ قدير .

فسأله جبريل ، قال : ما الإيمان ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : (أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى) [2] .

هذا هو الإيمان ، وهو مشتمل لكل هذه الأشياء التي ذكرها العلماء ، يدخل فيه القرآن ، ويدخل فيه الله تبارك وتعالى ، والملائكة ، فكل ذلك من الغيب الذي يثيبنا الله تبارك وتعالى عليه .

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٨٤) .

(٢) رواه مسلم (٨) كتاب الإيمان من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

ولكن الله ﷻ لم يجعل هذا الغيب غيباً مطلقاً ، وإنما أقام عليه الحجج والبراهين التي تدل على وجوده سبحانه وتعالى ، فلم يقل الله لك : آمن بالله ﷻ ، ثم بعد ذلك لم تجد آثاراً تدل على وجوده ، وآيات وبراهين مقنعة ؛ لا ، بل أوجد من البراهين الشيء الكثير .

وفي كل شيءٍ له آية تدل على أنه واحد

ومن الإيمان بالغيب ؛ الإيمان بنبينا محمد ﷺ ؛ ففي حديث أبي جمعة الأنصاري رضي الله عنه أنه قال : تغدَّينا مع رسول الله ﷺ ومَعنَا أبو عبيدة بن الجراح ، قال : فقال : يا رسول الله ! هل أحدٌ خيرٌ مِنَّا ؟ أسلمنا معك ، وجاهدنا معك ، قال : (نعم ، قومٌ يكونون من بعدكم يُؤمنون بي ولم يروني) .

وفي رواية : أن أبا جُمعة الأنصاري رضي الله عنه قال : قلنا : يارسول الله ! هل أحدٌ خيرٌ منا ؟ قال : (قومٌ يجيئون من بعدكم ، يجدون كتاباً بين لوحين ، يؤمنون به ويصدِّقون ، هم خير منكم)[1] .

وفي رواية : أنّ أبا جمعة الأنصاري رضي الله عنه قال : كنَّا مع رسول الله ﷺ : ومعنا معاذ بن جبل عاشِر عَشرة ، فقلنا : يا رسول الله ! هل من أحدٍ أعظم منا أجراً ؟ آمنَّا بالله واتَّبعناك ؟! قال : (ومايمنعكم من ذاك ، ورسولُ الله بين أظهركم ،

---

(١) رواه أحمد (١٦٩٧٦) ، والطبراني في الكبير (٣٥٣٧ ، ٣٥٤١) ، والحاكم (٤/ ٨٥) . وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

يأتيكم بالوحي من السماء ؟ بل قوم يأتون من بعدكم يأتيهم كتاب بين لوحين ، فيؤمنون به ويعملون بما فيه ، أولئك أعظم منكم أجراً)[1] .

وقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ زار المقابر ذات مرَّة ، وسلَّم على أهلها ، ثم قال : (وددتُ لو أنني لقيتُ إخواني) فقال أصحابُ النبي ﷺ : أوليس نحن إخوانك ؟ قال : (أنتم أصحابي ، ولكن إخواني : الذين آمنوا بي ولم يروني)[2] .

من صفات أهل الإيمان

ذكر الله ﷻ صفات المؤمنين في آياتٍ كثيرة في القرآن العظيم ، ومنها قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[3] .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾[4] .

---

(١) انظر (مسند أحمد) (٢٨/ ١٨٢ ـ ١٨٥) .

(٢) رواه أحمد (١٢٥٧٩) من حديث أنسٍ ﷺ ، وقال محققو المسند : حسن لغيره .

(٣) الأنفال : ٢ .

(٤) الحجرات : ١٥ .

وقال أيضاً : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1] .

والحديث عن صفات المؤمنين حديث طويل ؛ غير أن اللبيب الأريب تكفيه الإشارة .

والإيمان مرتبط ارتباطاً عظيماً بأخلاق المسلم ؛ بمعاملة المسلم مع إخوانه المسلمين ، وفي ذلك يقول النبي ﷺ : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[2] .

إذاً هناك علاقة بين المعاملة بينك وبين أخيك المسلم وبين الإيمان ؛ ويؤكد ذلك أيضاً ؛ قوله عليه الصلاة والسلام : (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لأهله)[3] .

---

(١) المؤمنون : ١ ـ ١١ .

(٢) رواه البخاري (١٣) ، ومسلم (٤٥) من حديث أنس ﷺ .

(٣) رواه الترمذي (١١٦٢) في الرضاع ، وقال : حديث حسن صحيح . وهو عند أبي داود (٤٦٨٢) في السنة .

والإيمان في القلب ، ومع ذلك ربطه الله تبارك وتعالى بحسن الخلق (فأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً) فما أحرانا أن نتخلق بأخلاق الإسلام ؛ حتى يزداد إيماننا بالله تبارك وتعالى ، وكتبه ، ورسله .

وقد ذكرنا قول الحق ﷻ : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾[1] ، هذه حقيقة الإيمان ، إذا ذكر الله وجلت القلوب ، فإذا وجل قلب المؤمن عند سماع كلام الله ﷻ فقد اتصف بحقيقة الإيمان ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ وتصديقاً ﴿ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ .

وقال عليه الصلاة والسلام ذات يومٍ لحارثة : (كيف أصبحت يا حارثة ؟) قال : أصبحت مؤمناً حقاً . قال : (إن لكل شيءٍ حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟) قال : عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً ، وكأني بأهل الجنة يتنعمون فيها ، وكأني بأهل النار في النار يعذبون . فقال له عليه الصلاة والسلام : (أصبت فالزم ، مؤمن نور الله قلبه)[2] .

---

(١) الأنفال : ٢ ـ ٤ .

(٢) قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (١٩٠) ط. دار الفكر : رواه البزار ، وفيه يوسف بن عطيه ؛ لا يحتج به .

وقوله : (فأسهرت ليلي ، وأظمأت نهاري) أي : بالصيام والقيام ، وقوله : (عزفت نفسي عن الدنيا) النفس ؛ وليس الظاهر كما هو حال بعض الناس فتجده في ظاهره عازفاً ، وفي قلبه متعلقاً بها ، شغوفاً بها ، محباً لها ، فليس هذا بزهد ، وليس هذا بإهمالٍ لهذه الحياة الدنيا ، بل الزهد أن تكون في قلبك ليست لها قيمة ، ليس لها وزن ، ليس لها تعلق .

هذه حقيقة الإيمان ، أن تعرف حقيقة الدنيا فتعزف نفسك عنها ، أن تعرف حقيقة الآخرة فتتقرب منها ، أن تعرف حقيقة كلام الله ﷻ فيخشع قلبك عند سماع كتاب الله تبارك وتعالى .

وللإيمان كمال واستكمال ؛ فقد تقدم ما رواه الترمذي عن أبي هريرة ﷺ ؛ عن النبي ﷺ أنه قال : (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائهم)[1] .

إذا أردت كمال الإيمان ، وهنيئاً لك إذا بلغت كمال الإيمان فلتكن حسن الخلق ؛ وليس هناك فصل بين الإيمان والخلق ، فلا يظن ظان أنه مؤمن إيماناً قوياً ، وأنه صحيح العقيدة كاملها ، وأخلاقه سيئة في تعامله مع والديه ، ومع أقاربه ، ومع جيرانه ، ومع أصحابه ، ومع الناس ؛ فإن سوء خلقه دلالة على سوء عقيدته ، وعلى سوء إيمانه والعياذ بالله ﷻ .

---

(١) رواه الترمذي (١١٦٢) في الرضاع ، وقال : حديث حسن صحيح . وهو عند أبي داود (٤٦٨٢) في السنة .

وعن أبي أمامة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (من أَحبَّ لله ، وأبغضَ لله ، وأعطى لله ، ومنعَ لله ، فقد استكمل الإيمان) [1] .

إذا كان الحب ليس حباً للدنيا ، وليس حباً لشهواتها ، ورغباتها وإنما حباً في الله وكرهاً لله ، وعطاءً لله ، ومنعاً لله ، فقد استكمل الإيمان .

وروى أحمد بسندٍ حسن عن أبي هريرة ﷺ قال : قال عليه الصلاة والسلام أيضاً : لا يؤمن العبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في المزاح والمراء وإن كان صادقاً) [2] .

وللإيمان طعم وحلاوة ؛ فعن العباس بن عبد المطلب ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول : (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً) [3] .

وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال : (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) ؛ الرجل الذي أحب الله ﷻ وأحب رسوله أعظم من كل شيء ، فهذا الذي يذوق حلاوة الإيمان ، وكذلك (وأن يحب المرءَ لا يُحِبُّه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار) [4] .

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٨١) ، وأحمد (٣ / ٤٣٨ ، ٤٤٠) وهو حديث حسن .

(٢) رواه أحمد (٢ / ٣٥٢ ، ٣٦٤) .

(٣) رواه مسلم (٣٤) في كتاب الإيمان .

(٤) رواه البخاري (١٦ ، ٦٩٤١) ، ومسلم (٤٣) .

obeikandl.com

وللإيمان شعب كثيرة ، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (الإيمان بضع وسبعون شعبة) وفي روايةٍ : (بضع وستون شعبة ، أفضلها : قول لا إله إلا الله ، وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان) [1] .

وفي الحديث الحسن عن أبي هريرة ﷺ قال : قال عليه الصلاة والسلام : (الحياء من الإيمان ، والإيمان في الجنة ، والبذاء من الجفاء ، والجفاء في النار)[2] .

وللإيمان صريح ومحض ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال : جاء ناسٌ من أصحاب النبي ﷺ فسألوه : إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدُنا أن يتكلم به ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : (وقد وجدتموه ؟) قالوا : نعم . قال : (ذاك صريح الإيمان) [3] .

وعن ابن مسعود ﷺ قال : سئل النبي ﷺ عن الوسوسة فقال : (تلك محضُ الإيمان) [4] .

---

(١) رواه البخاري (٩) ، ومسلم (٣٥) .

(٢) وراه أحمد (٢ / ٥٠١) ، والترمذي (٢٠٠٩) ، وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) رواه مسلم (١٣٢) .

(٤) رواه مسلم (١٣٣) .

obeikandl.com

وللإيمان مثال ضربه النبي ﷺ بقوله : (مثل المؤمن كزرعٍ لا تزال الرياح تُفِيئُهُ ، ولا يزال المؤمن يصيبه بلاء ، ومثل المنافق كمثلِ شَجَرَةِ الأُرْزِ لا تهتز حتى تَسْتَحْصِدَ)[1] والعياذ بالله ﷻ .

فهذا مثال ضربه النبي ﷺ للمؤمن الذي يبتليه ﷻ بالبلاء .

وضرب النبي ﷺ للمؤمن مثالاً آخر ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وهي مثل المؤمن . حدثوني ما هي ؟) قال ابن عمر : فوقع الناس في شجر البوادي ، وكنت من أحدَثُ الناسِ ـ أي : أصغرهم ـ ، ووقع في صدري أنها النخلة ، فقال رسول الله ﷺ : (هي النخلة) فاستحييت ـ يعني أن أقول ـ قال : فذكرت ذلك لأبي ، فقال : لأن تكون قلته ؛ أَحَبُّ إليَّ من كذا وكذا [2].

---

(١) رواه مسلم (٢٨٠٩) ، والترمذي (٢٨٦٦) واللفظ له من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح . الأُرْز : بفتح الهمزة وتضم وإسكان الراء بعدهما زاي : وهي شجرة الصنوبر ، وقيل : شجرة الصنوبر الذكر خاصةً ، وقيل : شجرة العرعر ، والأول أشهر .

(٢) رواه أحمد (٦٤٦٨) ، والبخاري (٧٢) ، ومسلم (٢٨١١) .

والإيمان يتجدد فقد قال ﷺ ذات يومٍ لأصحابه ـ والحديث حسن ـ : (جَدِّدوا إيمانكم) قالوا : وكيف نجدد إيماننا يا رسول الله ؟ قال : (أكثروا من قول لا إله إلا الله) [1] فإنها تجدد الإيمان .

وللإيمان أجزاءٌ ؛ فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض) [2] .

وللإيمان بلد يأوي إليه ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : (إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جُحرها) [3] .

ومن صفات المؤمنين ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) [4] .

---

(١) رواه أحمد (٢ / ٣٥٩) ، والطبراني من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وقال المنذري في « الترغيب » (٢٢٦٠) : وإسناد أحمد حسن .

(٢) رواه مسلم (٢٢٣) ، والترمذي (٣٥١٧) ، وابن ماجه (٢٨٠) ، والنسائي (٥ / ٥) مع اختلاف يسير في اللفظ .

(٣) رواه البخاري (١٨٧٦) ، ومسلم (١٤٧) .

(٤) رواه البخاري (٦١٣٨) ، ومسلم (٤٧) .

obeikandl.com

وفي رواية لمسلم : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يـؤذِ جـاره) ، وفي رواية : (فليحسن إلى جاره) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده ، والمُهـاجر مـن هجـر مـا نهـى الله عنه) [1] .

وعند الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويـده ، والمـؤمن مـن أمنـه النـاسُ عـلى دمـائهم وأموالهم) [2] .

(١) رواه البخاري (١٠) ، ومسلم (٤٠) .

(٢) رواه الترمذي (٢٧٦٢) كتاب الإيمان ، وقال : حديث حسن صحيح .

openkandl.com